

كتاب زغل العلم

تصنيف الإمام الذهبي رحمه الله

حقيقه وعلق عليه

تصنيف
أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد المجيد الشميري
العلامة الحافظ الإمام الذهبي

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ، (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) ، (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) .

أما بعد: فهذا كتاب زغل العلم للإمام الذهبي رحمه الله يحذر فيه من أمور معيبة ومذمومة تصدر من بعض أصحاب فنون العلم فيبين عيوب أصحاب الفنون حتى تحذر وتجتنب وهذا من نصحه رحمه الله وعنايته بذلك وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم "الدين النصيحة" قيل لمن يارسل الله قال "الله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" رواه مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه

وقال جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم. متفق عليه.

والنصح للناس من شأن أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام وهكذا كل من سلك طريقهم ونهج نهجهم من العلماء فإنك تجده ناصحا للأمة ومن هؤلاء العلماء الناصحين الإمام الذهبي رحمه الله فقد نصح في كتابه هذا الذي بين يديك نصح أهل العلم الذين هم قدوة الناس والذين ينبغي أن يكونوا عاملين بعلمهم وسماه "زغل العلم" والزغل هو الغش كما في المعجم الوسيط وقد يسر الله لي وله الحمد والمنة تحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه فأحببت إبرازه وإخراجه مشاركة مني إن شاء الله في نشر العلم والخير نسأل الله أن ينفع بذلك وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم

كتبه أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد المجيد الشميري في ٦ جماد ثاني ١٤٣٩ هـ.

ترجمة مختصرة للذهبي رحمه الله

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

حافظ، مؤرخ، علامة محقق.

ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة بدمشق وكف بصره في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وتوفي في ليلة ثالث ذي

القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بدمشق وقد أخذ عنه خلق من الحفاظ والأعيان.

طلب الحديث وله ثمانون سنة، فسمع بدمشق من عمر بن القواس، وأحمد بن هبة الله بن عساكر، ويوسف بن

أحمد الغسولي وغيرهم.

ويعلمك من عبد الخالق بن علوان وغيره.

وبمصر من شيخ الإسلام ابن دقيق العيد، والحافظين: أبي محمد الدميطي وأبي العباس بن الظاهري، وغيرهم.

طلب الحديث وقرأ بنفسه وكتب بخطه كثيرا من الكتب والأجزاء، وحصل الأصول وانتقى على جماعة من

شيوخه، وروى عن من هو مثله ودونه، وعني بهذا الشأن أتم عناية، وبرع فيه، وصنف وأرخ وصحح وعلل وكان

مشهورا بالخير، متواضعا، حسن الخلق، حلو المحاضرة، متعبدا، له ورد بالليل، وصنف تصانيف حسنة، وولي

مشيخة الحديث بالترتبة الصالحة ودار الحديث الظاهرية.

وقال قاضي القضاة تاج الدين : أما أستاذنا أبو عبد الله الذهبي فنضير لا نظير له، وكبير هو الملجأ إذا نزلت

المعضلة، إمام الوجود حفظا، وذهب العصر معنى ولفظا، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل،

كأنما جمعت له الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها، تعمل المطي إلى جواره،

وتضرب البزل المهاري أكبادها فلا تبرح أو تقيل نحو داره. انتهى كلامه.

تصنيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، منها " سير أعلام النبلاء " و " الكاشف " في تراجم رجال الحديث، و " العبر في خبر من غير " و "الكبائر " و " تهذيب تهذيب الكمال " في رجال الحديث، و " ميزان الاعتدال في نقد الرجال " و " المغني " في رجال الحديث. و " الطب النبوي " و " زغل العلم " وهي هذه الرسالة التي بين يديك و " المستدرک على مستدرک الحاكم " في الحديث، واختصر كثيرا من الكتب، وآخر ما نشر من كتبه " معرفة القراء الكبار "

مصادر ترجمته

ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (١/ ٥٣)

الأعلام للزركلي (٥/ ٣٢٦)

معجم أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ١٢٦)

معجم الشيوخ للسبكي (ص: ٣٥٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

والحمد لله رب العالمين . اعلم أن في كل طائفة من علماء هذه الأمة ما يذم ويعاب ، فتجنبه .

علم القراءة (١) والتجويد (٢)

فالقراء المجودة : فيهم تنطع (٣) وتحرير زائد يؤدي إلى أن المجوّد القارئ يبقى مصروف الهمّة إلى مراعاة الحروف ، والتنطع في تجويدها بحيث يشغله ذلك عن تدبر معاني كتاب الله تعالى ، ويصرفه عن الخشوع في التلاوة لله ويخليه قوي النفس مزدرياً (٤) بحفاظ كتاب الله تعالى . فينظر إليهم بعين المقت (٥) وأن المسلمين يلحنون ، وبأن القراء لا يحفظون إلا شواذ القراءة فليت شعري (٦):

أنت ماذا عرفت ؟ !

- ١- علم القراءة قال في "كشف الظنون" (٢/ ١٣١٧) هو: علم يبحث فيه عن: صور نظم كلام الله - تعالى -، من حيث وجوه الاختلافات المتواترة. ومبادئه: مقدمات تواترية. وله: أيضا استمداد من: العلوم العربية. والغرض منه: تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة. وفائدته: صون كلام الله - تعالى - عن تطرق التحريف، والتغير.
- ٢- علم التجويد قال في "كشف الظنون" (١/ ٣٥٣) هو: علم باحث عن: تحسين تلاوة القرآن العظيم، من جهة مخارج الحروف، وصفاتها، وترتيل النظم المبين، بإعطاء حقها من الوصل، والوقف، والمد، والقصر، والإدغام، والإظهار، والإخفاء، والإمالة، والتحقيق، والتفخيم، والترقيق، والتشديد، والتخفيف، والقلب، والتسهيل، ... إلى غير ذلك.
- ٣- المتنتعون قال ابن الأثير في "النهاية" (٥/ ٧٤): هم المتعمقون المغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوهم مأخوذ من النطع، وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تعمق، قولاً وفعلاً.
- ٤- قال في "النهاية" (٢/ ٣٠٢): الأزراء: الاحتقار والانتقاص والعيب، وهو افتعال، من زريت عليه زراية إذا عبت، وأزريت به إزراء إذا قصرت به وتهاونت.
- ٥- المقت: هو في الأصل أشد البغض "نهاية"
- ٦- لبت شعري أي: لبت علمي "نهاية" مادة شعر .

وما علمك ، وأما عملك فغير صالح ، وأما تلاوتك فثقيلة عريّة عن خشية والحرز والخوف ، فإله يوفقك ،
ويبصرك رشداً ويوقظك من رعدة الجهل والرياء .

وَضدْهم قراء النغم والتمطيط(١) وهؤلاء في الجملة من قرأ منهم بقلب وخوف قد ينتفع به في الجملة ، فقد رأيت
من يقرأ صحيحاً ويطرب ويبكي .

نعم ورأيت من إذا قرأ قَسَى القلوب وأبرم النفوس(٢) ، وبدل كلام الله تعالى .

وأسوأهم حالاً الجنائزية ، والقراء بالروايات وبالجمع ، فأبعد شيء عن الخشوع وأقدم شيء على التلاوة بما
يخرج عن القصد ، وشعارهم في تكثير وجوه حمزة ، وتغليظ تلك اللامات وترقيق الراءات.

اقرأ يا رجل واعفنا من التغليظ والترقيق وفرط الإمالة ، والمدود ووقوف حمزة ، فإلى كم هذا ؟ وآخر منهم إن
حضر في ختمه أو تلا في محراب جعل دينه إحضار غرائب الوجوه والسكت ، والتهوُّع بالتسهيل ، وأتى بكل
خلاف ونادى على نفسه أنا (أبو فلان) فاعرفوني فإني عارف بالسبع .

إيش يُعمل بك ؟

لا صبحك الله بخير .

إنك حجر منجنيق ورسااص على الأفئدة (٣).

١- التمثيط : التمديد "نهاية"

٢- أي أضجرها وأملأها "المعجم الوسيط" (ص: ٥٢)

٣- أي: القلوب .

علم الحديث (١)

والمحدثون : فغالبيهم لا يفقهون ولا همة لهم في معرفة الحديث ولا في التدوين به ، بل الصحيح والموضوع عندهم بنسبة إنما همتهم في السماع على جهلة الشيوخ ، وتكثير العدد من الأجزاء والرواة . لا يتأدبون بأداب الحديث ، ولا يستفيقون من سكرة السماع ، الآن يسمع الجزء ونفسه تحدثه : متى يرويه أبعد الخمسين سنة !

ويحك ما أطول أمك وأسوأ عملك

معذورٌ سفيان الثوري إذ يقول فيما رواه أحمد بن يوسف التلعلي ثنا خالد بن خدّاش ثنا حماد بن زيد قال : قال سفيان الثوري - رحمه الله - : لو كان الحديث خيراً لذهب كما ذهب الخير (٢) . صدق والله وأي خير في حديث مخلوط صحيحه بواهييه ، وأنت لا تقليه ولا تبحث عن ناقله ، ولا تدّين الله به .

١ - علم الحديث قال في "كشف الظنون" (١/ ٦٣٥) هو: علم يعرف به أقوال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وأفعاله، وأحواله، فاندرج فيه معرفة موضوعه.
وأما غايته: فهي الفوز بسعادة الدارين، كذا في الفوائد الخاقانية.
وهو ينقسم إلى:
العلم برواية الحديث: وهو علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول عليه الصلاة والسلام، من حيث أحوال رواتها ضبطاً وعدالة، ومن حيث كيفية السند اتصالاً وانقطاعاً، وغير ذلك.
وقد اشتهر بأصول الحديث كما سبق، وإلى العلم بدراية الحديث.
وهو علم باحث عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث، وعن المراد منها مبنياً على قواعد العربية، وضوابط الشريعة، ومطابقاً لأحوال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم.
وموضوعه: أحاديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من حيث دلالتها على المعنى المفهوم، أو المراد وغايته: التحلي بالأداب النبوية، والتخلي عما يكرهه وينهاه.
ومنفعته: أعظم المنافع، كما لا يخفى على المتأمل.
ومبادهيه: العلوم العربية كلها، ومعرفة القصص والأخبار المتعلقة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، ومعرفة الأصليين والفقهاء وغير ذلك.
٢ صحيح .

أما اليوم في زماننا فما يفيد المحدث الطلب والسماع مقصود الحديث من التدين به ، بل فائدة السماع ليروي فهذا والله لغير الله .

خطابي معك يا محدث لامع من يسمع ولا يعقل ولا يحافظ على الصلوات ، ولا يجتنب الفواحش ولا قرش الحشائش ولا يحسن أن يصدق فيها، فيا هذا لا تكن محروماً مثلي
فأنا نحس(١) أبغض المناحيس .

وطالب الحديث اليوم ينبغي له أن ينسخ أولاً (الجمع بين الصحيحين) و (أحكام عبدالحق) و(الضياء) ، ويدمن النظر فيهم ويكثر من تحصيل تواليف البيهقي فإنها نافعة ، ولا أقل من مختصر ك "الإمام" (٢) ودرسه ، فإيش السماع على جهلة المشيخة الذين ينامون والصبيان يلعبون والشبيبة يتحدثون ويمزحون وكثير منهم ينعسون ويكابرون ، والقارئ يصحف وإتقانه في تكثير : (أو كما قال) والرضع يتصاعقون .

بأنه خلونا فقد بقينا ضحكة(٣) لأولي المعقولات يظنون بنا : هؤلاء هم أهل الحديث ، نعم ماذا يضر ! ولو لم يبق إلا تكرار الصلاة على النبي صل الله عليه وسلم لكان خيراً من تلك الأقاويل التي تضاد الدين وتطرد الإيمان واليقين ، وتردي في أسفل السافلين لكنك معذور فما شمت للإسلام رائحة ، ولا رأيت أهل الحديث ، فأوانلهم كان لهم شيخ عالي الإسناد بينه وبين الله واحد معصوم عن معصوم سيد البشر عن جبريل عن الله - عز وجل - فطلبه مثل أبي بكر وعمر ، وابن مسعود وأبي هريرة الحافظ وابن عباس . وسادة الناس الذين طالت أعمارهم وعلا

أخرجه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (١٩٣٧) من طريق حماد بن زيد قال : قال لي سفيان: يا أبا إسماعيل لو كان هذا الحديث خيراً لنقص كما ينقص الخير . وأخرجه أيضاً (١٩٣٦) من طريق شعيب بن حرب عنه به . وأخرجه ابن الجعد في مسنده (١٨١٨) من طريق يحيى بن الضريس عنه به . وأخرجه الخطيب في "شرف أصحاب الحديث" (ص:١٢٣) من طريق محمد بن بشر عنه به . فهذه أربع طرق إلى سفيان الثوري.
١ - في "المعجم الوسيط" (ص:٩٠٧) النحس : الجهد والضر .

^٢ يقصد "الإمام بأحاديث الأحكام" لابن دقيق العيد.
٣ - الضحكة : من يكثر الناس الضحك منه . "المعجم الوسيط" (ص: ٥٣٥).

سندهم وانتصبا للرواية الرفيعة ، فحمل عنهم مثل مسروق ، وابن المسيب ، والحسن البصري والشعبي ، وعروة ، وأشباههم من أصحاب الحديث ، وأرباب الرواية والدراية ، والصدق والعبادة ، والإتقان والزهادة، الذين من طلبتهم مثل الزهري ، وقتادة ، والأعمش ، وابن حجادة ، وأيوب ، وابن عون وأولئك السادة الذين أخذ عنهم الأوزاعي، والثوري ، ومعمر ، والحمامان ، وزائدة ، ومالك ، والليث ، وخلق سواهم من أشياخ ابن المبارك ، ويحيى القطان ، وابن مهدي ، ويحيى بن آدم ، والشافعي ، والقعني ، وعدة من أعلام الحديث الذين خلفهم ، مثل أحمد بن حنبل ، وإسحاق ، وابن المديني ، ويحيى بن معين ، وأبي خيثمة ، وابن نمير ، وأبي كريب ، وبندار ، وما يليهم من مشيخة البخاري ، ومسلم وأبي داود والنسائي وأبي زرعة وأبي حاتم ومحمد بن نصر وصالح جزرة وابن خزيمة وخلائق ممن كان في الزمن الواحد منهم ألوف من الحفاظ ونقله العلم الشريف .

ثم تناقص هذا الشأن في المائة الرابعة بالنسبة إلى المائة الثالثة ، ولم يزل ينقص إلى اليوم ، فأفضل من في وقتنا اليوم من المحدثين على قلتهم ، نظير صغار من كان في ذلك الزمان على كثرتهم .

وكم من رجل مشهور بالفقه والرأي في الزمن القديم أفضل في الحديث من المتأخرين ، وكم من رجل من متكلمي القدماء أعرف بالأثر من سنية زماننا ، فما أدركنا من أصحاب الحديث إلا طائفة كقاضي ديار مصر وعالمها تقي الدين بن دقيق العيد ، والحافظ الحجة شرف الدين الدمياطي ، والحافظ جمال الدين بن الظاهري ، والشيخ شهاب الدين بن فرح ونحوهم .

وأدركنا من عكر الطلبة : شهاب الدين ابن الدقوقي ، ونجم الدين ابن الخباز ، والشيخ عبد الحافظ .

ونحمد الله ، في الوقت أناس يفهمون هذا الشأن ويعتنون بالأثر : كالمزي ، وابن تيمية ، والبرزالي ، وابن سيد الناس ، وقطب الدين الحلبي، وتقي الدين السبكي ، والقاضي شمس الدين الحنبلي ، وابن قاضي القضاة بدر الدين

بن جماعة ، وصلاح الدين العلائي ، وفخر الدين بن الفخر ، وأمين الدين بن الواني ، وابن إمام الصالح ، ومحب الدين المقدسي ، وسيدي عبد الله بن خليل ، وجماعة سواهم فيهم العكر (١) والغناء (٢) .. الله يستر .
والمرء مع من أحب .

والسعيد من نهض وأهب (٣) ، وعلى الطاعة أكب (٤) ، والله الموفق والهادي .

المالكية

الفقهاء المالكية على خير واتباع وفضل إن سلم قضاتهم ومفتوهم من التسرع في الدماء ، والتكفير فإن الحاكم والمفتي يتعين عليه أن يراقب الله تعالى ، ويتأني في الحكم بالتقليد ولا سيما في إراقة الدماء ، فالله ما أوجب عليهم تقليد إمامهم ، فلهم أن يأخذوا منه ويتروكوا ، كما قال الإمام مالك - رحمه الله - : (كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر صل الله عليه وسلم) (٥) .

١ - العكر : هو الراسب من كل شيء والصدأ على السيف وغيره "المعجم الوسيط" (ص: ٦١٨).

٢ - الغناء : أراذل الناس وسقطهم "نهاية" مادة غناء.

٣- أهب : أي استعد "المعجم الوسيط" (ص ٣١).

٤ - أكب : أي أقبل على الطاعة وشغل نفسه بها "المعجم الوسيط" (ص ٧٧١).

٥ - عزاه إلى مالك صاحب "المقاصد الحسنة" (٨١٥) ، وصاحب "الأسرار المرفوعة" (٣٤٤) ، ولم أره مسنداً ، وأخرجه البخاري في "رفع اليدين" (١٠٣) ، وأبو نعيم في "الحلية" (٣٠٠/٣) وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (١٧٦٣) و (١٧٦٤) و (١٧٦٥) ، والخطيب في "الفتاوى والتمتقة" (٤٤١/١) من طرق عن سفيان بن عيينة عن عبدالكريم الجزري عن مجاهد من قوله وهذا إسناد صحيح . ، وأخرجه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (١٧٦١) من كلام الحكم بن عتيبة . ، وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٣٣٩/١١) (١١٩٤١) فقال : حدثنا أحمد بن عمرو البزار ثنا زياد بن أيوب ثنا أبو عبيدة الحداد عن مالك بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه قال : (ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويدع غير النبي صل الله عليه وسلم) ، وهذا سند ظاهره الصحة إلا أن البزار يخطئ كثيراً كما قال الدار قطني فأخشى أن يكون رفع هذا الحديث من أخطائه .

فيا هذا إذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك لم أبحت دم فلان فما حجتك؟ إن قلت قلدت إمامي يقول لك : فأنا أوجبت عليك تقليد إمامك؟ (١) ثبت أن النبي صل الله عليه وسلم قال : (أول ما يقضى بين الناس في الدماء) (٢) . وفي الحديث : (لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يتند بدم حرام) (٣) نعم من رأبته زنديقاً عدوًّا لله فاتق الله وأرق دمه ابتغاء وجه الله بعد أن تستفتي قلبك وتستخير الله فيه .

الحنفية

الفقهاء الحنفية أولو التدقيق والرأي والذكاء ، والخير من مثلهم إن سلموا من التحيل والحيل على الربا ، وإبطال الزكاة ، ونقر الصلاة ، والعمل بالمسائل التي يسمعون النصوص النبوية بخلافها .
فيا رجل دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، واحتط لدينك ، ولا يكن همك الحكم بمذهبك ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، فإذا عملت بمذهبك في المياه والطهارة والوتر والأضحية ، فأنت أنت ، وإن كانت همتك في طلب الفقه الجدال و المراء والانتصار لمذهبك على كل حال وتحصيل المدارس والعلو فما ذا فقهاً أخروياً ، بل ذا فقه الدنيا ، فما ظنك تقول غداً بين يدي الله تعالى : تعلمت العلم لوجهك وعلمته

- ١ - بل إنه بهذا التقليد بذاته يعتبر أثماً لأن التقليد محرم لقول الله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون)
- ٢ - زواه البخاري (٦٨٦٤) ومسلم (١٦٧٨) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.
قال الإمام النووي رحمه الله في "شرح مسلم" (١١/١٦٧)
- وليس هذا الحديث مخالفاً للحديث المشهور في السنن "أول ما يحاسب به العبد صلاته" لأن هذا الحديث الثاني فيما بين العبد وبين الله تعالى وأما حديث الباب فهو فيما بين العباد والله أعلم بالصواب.
- ٣ - أخرجه البخاري (٦٨٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ولفظه (لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً) وأما قوله (مالم يتند بدم حرام) فذكر الحافظ في "الفتح" (١٢/١٨٨) أنه في رواية إسماعيل القاضي وذكر أن معناه الإصابة وهو كناية عن شدة المخالطة ولو قلت . اهـ
ومعنى (في فسحة من دينه) أي: في سعة ومفهومه كما قال الحافظ في "الفتح" أنه يضيق عليه دينه ففيه إشعار بالوعيد على قتل المؤمن متعمداً بما يتوعد به الكافر .

فيك ، فاحذر أن تغلط وتقولها فيقول لك : (كذبت ، إنما تعلمت ليقال عالم ، وقد قيل ، ثم يؤمر بك مسحوباً إلى النار) ، كما رواه مسلم في الصحيح (١)

فلا تعتقد أن مذهبك أفضل المذاهب وأحبها إلى الله تعالى ، فإنك لا دليل لك على ذلك ، ولا لمخالفك أيضاً ، بل الائمة - رضي الله عنهم - على خير كثير ، ولهم في صوابهم أجران على كل مسألة ، وفي خطئهم أجر على كل مسألة (٢)

الشافعية

الفقهاء الشافعية أكيس الناس (٣) وأعلم من غيرهم بالدين ، فأس مذهبهم مبني على اتباع الأحاديث المتصلة ، وإمامهم

- ١ - برقم (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال النووي رحمه الله في "شرح مسلم" (١٣ / ٥٠) قوله صلى الله عليه وسلم في الغازي والعالم والحواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل على تغليب تحريم الرياء وشدّة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصاً.
- ٢ - لحديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صل الله عليه وسلم يقول (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر) رواه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦) ، قال النووي رحمه الله في "شرح مسلم" (١٢ / ١٤): قال العلماء: أجمع المسلمون على أن هذا الحديث في حاكم عالم أهل للحكم فإن أصاب فله أجران أجر باجتهاده وأجر بإصابته وإن أخطأ فله أجر باجتهاده وفي الحديث محذوف تقديره إذا أراد الحاكم فاجتهد قالوا فأما من ليس بأهل للحكم فلا يحل له الحكم فإن حكم فلا أجر له بل هو أثم ولا ينفذ حكمه سواء وافق الحق أم لا لأن إصابته اتفاقه ليست صادرة عن أصل شرعي فهو عاص في جميع أحكامه سواء وافق الصواب أم لا وهي مردودة كلها ولا يعذر في شيء من ذلك وقد جاء في الحديث في السنن القضاة ثلاثة قاض في الجنة واثان في النار قاض عرف الحق ففضى به فهو في الجنة وقاض عرف الحق ففضى بخلافه فهو في النار وقاض قضى على جهل فهو في النار.
- ٣ - أي: أعقلهم .

من رؤوس أصحاب الحديث ومناقبه جمّة (١) ، فإن حصلت يا فلان مذهبه لتدين الله به وتدفع عن نفسك الجهل فأنت بخير (٢) ، وإن كانت همتك كهمة إخوانك من الفقهاء البطالين الذين قصدهم المناصب والمدارس والدنيا والرفاهية والثياب الفاخرة ، فما ذا بركة العلم ولا هذه نية خالصة ، بل ذا بيع للعلم بحسن عبارة وتعجل للأجر وتحمل للوزر وغفلة عن الله .

فلو كنت ذا صنعة لكنت بخير ، تأكل من كسب يمينك وعرق جبينك ، وتزدرى (٣) نفسك ولا تتكبر بالعلم ، أو كنت ذا تجارة لكنت تشبه علماء السلف الذين ما أبصروا المدارس ولا سمعوا بالجهات ، وهربوا لما للقضاء طلبوا ، وتعبدوا بعلمهم وبذلوه للناس ، ورضوا بثوب خام (٤) وبكسرة كما كان من قريب الإمام أبو إسحاق (٥) صاحب

١ - جمّة : أي كثيرة والجم هو الكثير من كل شيء ومنه قوله تعالى (وتحبون المال حباً جماً) "المعجم الوسيط" (ص:١٣٧).

٢ - إن أراد تقليد مذهبه في كل شيء وإن كان مخالفاً للدليل فهذا ليس بخير لأن التقليد محرم لما سبق وهذا ليس مراداً للإمام الذهبي رحمه الله وإن أراد أن يجعله الإنسان مذهباً له فهذا أيضاً ليس بصحيح لأن التقيد بمذهب معين سواء كان مذهب الشافعي أو غيره ما أنزل الله به من سلطان بل الواجب التقيد بالدليل من الكتاب والسنة الصحيحة سواء وافق مذهب الشافعي أو غيره أم خالفه ، قال تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون) .

٣ - أي تحنقها .

٤ - الخام من الثياب هو الذي لم يقصر "المعجم الوسيط" ص ٢٦٣ .

٥ - هو أبو إسحاق الشيرازي واسمه إبراهيم بن علي بن يوسف بن عبدالله ، قال فيه السمعاني : هو إمام الشافعية المدرس ببغداد في النظامية شيخ الدهر وإمام العصر رحل إليه الناس من الأمصار وقصدوه من كل الأماكن والأقطار . اهـ من "طبقات الفقهاء الشافعية" (٣٠٣/١) .

"التنبيه" (١) ، وكما كان بالأمس الشيخ محيي الدين (٢) صاحب "المنهاج" ، وكما ترى اليوم سيدي عبد الله بن خليل ، وعلى كل تقدير احذر المرء (٣) في البحث وإن كنت محقا .

ولا تنازع في مسألة لا تعتقدها

واحذر التكبر والعجب بعملك ، فإسعادتك إن نجوت منه كفافا لا عليك ولا لك .

فوالله ما رمقت عيني أوسع علما ولا أقوى ذكاء من رجل يقال له : ابن تيمية ، مع الزهد في المأكل والملبس والنساء ، ومع القيام في الحق والجهاد بكل ممكن ، وقد تعبت في وزنه وفتشه حتى مللت في سنين متطاولة ، فما وجدت قد أخره بين أهل مصر والشام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذبوه وكفروه إلا الكبر والعجب (٤) ، وفرط الغرام في رياسة المشيخة والازدراء بالكبار .

^١ التنبيه في الفقه الشافعي لأبي إسحاق الشيرازي.
٢ - هو أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله قال عنه ابن كثير في "طبقات الشافعية" (ص: ٩٠٩) الشيخ الإمام العلامة الحافظ الفقيه الشافعي النبيل محرر المذهب ومهذب وضابطه ومرتبته أحد العباد والعلماء الزهاد .
٣ - المرء : الجدل "نهائية"

٤ - عفا الله عنك يا ذهبي فإن شيخ الإسلام رحمه الله من أبعد الناس عن الكبر والعجب وقد يرى الإنسان من شخص حالاً يظن أنه متكبر ومعجب وهو بعيد من ذلك أشد البعد ، وانظر ما ذكره البزار عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من شدة التواضع وبعده من الكبر ، قال رحمه الله في الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (ص: ٥٠-٥٢)

وأما تواضعه فما رأيت ولا سمعت بأحد من أهل عصره مثله في ذلك كان يتواضع للكبير والصغير والجليل والحقير والغني الصالح والفقير وكان يذني الفقير الصالح ويكرمه ويؤنسه ويبسطه بحديثه المستحلى زيادة على مثله من الأغنياء حتى إنه ربما خدمه بنفسه وأعانه بحمل حاجته جبرا لقلبه وتقربا بذلك إلى ربه وكان لا يسأم ممن يستفتيه أو يسأله بل يقبل عليه ببشاشة وجه ولين عريكة ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه كبيرا كان أو صغيرا رجلا أو امرأة حرا أو عبدا عالما أو عاميا حاضرا أو باديا ولا يجبهه ولا يجرجه ولا ينفره بكلام يوحشه بل يجيبه ويفهمه ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط

وكان يلزم التواضع في حضوره من الناس ومغيبه عنهم في قيامه وقعوده ومشيه ومجلسه ومجلس غيره ولقد بالغ معي في حال إقامتي بحضرته في التواضع والإكرام حتى إنه لا يذكرني باسمي بل يلقبني بأحسن الألقاب ويظهر لي خصوصا بين أصحابي من الإكرام والتبجيل والإدناء منه بحيث لا يتركني أجلس إلا إلى جانبه قصيرا

فانظر كيف وبال دعاوى ومحبة الظهور ، نسأل الله تعالى المسامحة ، فقد قام عليه أناس ليسوا بأورع منه ولا أعلم منه ولا أزهده منه ، بل يتجاوزون عن ذنوب أصحابهم وأثام أصدقائهم ، وما سلطهم الله عليهم بتقواهم وجلالتهم بل بذنوبه (١) ، وما دفعه الله عنه وعن أتباعه أكثر ، وما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقون ، فلا تكن في ريب من ذلك .

كان مجلسه أو طويلا خاصا أو عاما ولازمي في حال قراءتي صحيح البخاري وكان قصدي قراءته على رواية منفردا لاستصغاري نفسي عن القراءة هناك بمحضر من الناس ولقصدي تعجيل فراغي منه انتهازا للفرصة وخوفا من فوات ذلك الشيخ الراوي لكونه تفرد بروايته سماعا على أصحاب أبي الوقت السجزي فلما سمع الشيخ بذلك ألزمني قراءته بمجمع كثير من الناس رجالا ونساء وصبيانا وقال: ما ينبغي إلا على صفة يكون نفعها متعديا الى المسلمين فتجرد لي بحيث حصل لي مرادي وفوقه من تحصيل قراءتي له في عشرين مجلسا متوالية لم يتخللها سوى الجمعة ولازمي فيها وحضر القراءة كلها يضبطها بنسخة كانت بيده هي أصل ابن ناصر الحافظ يعارض بها نسخة القراءة وكانت أصل الشيخ المسمى وأظهر لي من حسن الأخلاق والمبالغة في التواضع بحيث أنه كان إذا خرجنا من منزله بقصد القراءة يحمل هو بنفسه النسخة ولا يدع أحدا منا يحملها عنه وكنت أعتذر اليه من ذلك خوفا من سوء الأدب فيقول لو حملته على رأسي لكان ينبغي ألا أحمل ما فيه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يجلس تحت الكرسي ويدع صدر المجالس حتى إني لأستحي من مجلسه هناك وأعجب من شدة تواضعه ومبالغته في إكرامي بما لا أستحق ورفعي عليه في المجلس ولولا قراءتي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظم حرمتها لما كان ينبغي لي ذلك

وكان هذا حاله في التواضع والتنازل والإكرام لكل من يردُّ عليه أو يصحبه أو يلقاه حتى إن كل من لقيه يحكي عنه من المبالغة في التواضع نحو مما حكيتُه وأكثر من ذلك فسبحان من وفقه وأعطاه وأجراه على خلال الخير وحياه .

فهذه الخصال التي ذكرها عنه البزار تدل على الكبر والعجب وفرط الغرام في رياسة المشيخة والازدراء بالكبار .

١ - هذا من باب الابتلاء وقد ابتلي من هو خير منه أنبياء الله ورسله وهكذا كل من سار بسيرهم فإنه يُبتلى ويُؤذى من قبل أعداء الله ولهذا قال ورقة بن نوفل للنبي صل الله عليه وسلم : لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي ، والابتلاء خير للمؤمن .

الحنابلة

وأما الحنابلة فعندهم علوم نافعة ، وفيهم دين في الجملة ، ولهم قلة حظ في الدنيا ، والجهال يتكلمون في عقيدتهم ويرمونهم بالتجسيم^(١) ، وبأنه يلزمهم ، وهم بريئون من ذلك إلا النادر ، والله يغفر لهم .

علم النحو (٢)

النحويون لا بأس بهم ، وعلمهم حسن محتاج إليه^(٣) ، لكن النحوي إذا أمعن^(٤) في العربية ، وعري عن علم الكتاب والسنة بقي فارغاً بطلاً لعباً ، ولا يسأله الله والحالة هذه عن علمه في الآخرة ، بل هو كصنعة من

قال ابن القيم رحمه الله في "إغاثة اللهفان" (٢ / ١٨٨ - ١٨٩) ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته، أو نقصت ثوابه، وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء ويستعد به لتمام الأجر، وعلو المنزلة، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه، كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "والذى نفسى بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له".

فهذا الابتلاء والامتحان من تمام نصره وعزه وعاقبته، ولهذا كان أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأقرب إليهم فالأقرب، يبئلى المرء حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة شدد عليه البلاء، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على وجه الأرض وليس عليه خطيئة.

١ - يرمونهم بالتجسيم لأن الغالب عليهم إثبات صفات الله تعالى على ما يليق به ، وكثير من الجهال والمبتدعة المعطلة يرمون من أثبت صفات الله بالتجسيم والتشبيه انظر "الحموية" (ص ٥٣٥) .

^٢ انظر "كشف الظنون" (٢ / ١٩٣٤)

٣ - لأنه يصون اللسان عن الخطأ في كلام الله وكلام رسول الله صل الله عليه وآله وسلم وكلام العرب ويعين على فهم معاني ذلك.

٤ أمعن أي: بالغ "نهاية" مادة معن .

الصنائع كالطب والحساب والهندسة لا يثاب عليها ولا يعاقب إذا لم يتكبر على الناس ولا يتحامق (١) عليهم واتقى الله تعالى وتواضع وصان نفسه .

علم اللغة (٢)

اللغويون قد عدموا في زماننا ، فتجد الفقيه لا يدري لغة الفقه ، والمقرئ لا يدري لغة القرآن ، والمحدث لا يعتني بلغة الحديث ،

فهذا تفریط وجهل ، وينبغي الاعتناء بلغة الكتاب والسنة ليفهم الخطاب (٣) .

١ - قال في "النهاية" وحقيقة الحُمق: وضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه وفي "القاموس" الأحمق : قليل العقل.

٢ - قال أبو حيان كما في "المزهر في علوم اللغة وأنواعها" (١/ ٣٧) للسيوطي والفرق بين علم النحو وبين علم اللغة أن علم النحو موضوعه أمورٌ كلية وموضوع علم اللغة أشياء جزئية وقد اشتركا معا في الوضع . انتهى.

وقال في "كشف الظنون" (٢/ ١٥٥٦)

علم اللغة هو: علم باحث عن: مدلولات جواهر المفردات، وهيئاتها الجزئية، التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي، واما: حصل من تركيب كل جوهر، وهيئاتها الجزئية على وجه جزئي، وعن: معانيها الموضوع لها بالوضع الشخصي.

وموضوعه: جواهر المفردات، وهيئاتها، من حيث: الوضع، والدلالة على المعاني الجزئية.

وغايته: الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية، والوقوف على ما يفهم من كلمات العرب.

ومنفعه: الإحاطة بهذه المعلومات، وطلاقة العبارة، وجزالتها، والتمكن من التقنن في الكلام، وإيضاح المعاني بالبيانات الفصيحة، والأقوال البليغة.

٣ - قال السيوطي في المزهر في علوم اللغة وأنواعها (٢/ ٢٦٠)

ولا شك أن علم اللغة من الدين، لأنه من فروض الكفايات، وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة.

أخرج أبو بكر بن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء بسنده عن عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه قال: لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة.

علم التفسير (١)

المفسرون قل من يعتني اليوم بالتفسير ، بل يطالع المدرسون (تفسير الفخر الرازي) (٢) وفيه إشكالات وتشكيكات لا ينبغي سماعها ، فإنها تحير وتمرض وتردي ولا تشفي غليلا ، نسأل الله العافية .

وأخرج أبو بكر بن الأنباري في كتاب الوقف عن طريق عكرمة عن ابن عباس قال: إذا سألتكم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب.

وقال الفارابي في خطبة ديوان الأدب: القرآن كلام الله وتنزيله، فصل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، مما يأتون ويذرّون، ولا سبيل إلى علمه وإدراك معانيه إلا بالتبحر في علم هذه اللغة.

وقال بعض أهل العلم:

(حفظ اللغات علينا ... فرض كفرض الصلاة)

(فليس يُضبط دين ... إلا بحفظ اللغات) وقال ثعلب في أماليه: الفقيه يحتاج إلى اللغة حاجة شديدة، وعليه الدؤوب والملازمة، فيهما يدرك بغيته.

١ - علم التفسير قال في "كشف الظنون" (١/٢٧٤)

هو: علم باحث عن معنى نظم القرآن، بحسب الطاقة البشرية، وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية.

ومبادئه: العلوم العربية، وأصول الكلام، وأصول الفقه، والجدل، ... وغير ذلك من العلوم الجمة.

والغرض منه: معرفة معاني النظم.

وفانده: حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية، على وجه الصحة.

وموضوعه: كلام الله - سبحانه وتعالى - الذي هو: منبع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة.

وغايته: التوصل إلى فهم معاني القرآن، واستنباط حكمه، ليفاز به إلى السعادة الدنيوية، والأخروية.

وشرف العلم وجلالته، باعتبار شرف موضوعه وغايته، فهو أشرف العلوم، وأعظمها.

٢ - هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي وهو أول من نشر مذهب الأشاعرة ، قال الذهبي في "سير أعلام

النبلاء" (٢١ / ٥٠١): وقد بدت منه في تواليه بلايا وعظامم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه

توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر وقد اعترف في آخر عمره، حيث يقول : لقد تأملت الطرق الكلامية،

والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات:

{ الرحمن على العرش استوى } ، { إليه يصعد الكلم ... } ، وأقرأ في النفي: { ليس كمثل شيء } ، ومن جرب مثل

تجربتي عرف مثل معرفتي.

وأقوال السلف في التفسير مليحة ، لكنها ثلاثة أقوال وأربعة أقوال فصاعداً فيضيع الحق بين ذلك ، فإن الحق لا يكون في جهتين (١) وربما احتمل اللفظ معنيين .

علم أصول الفقه (٢)

الأصوليون : أصول الفقه لا حاجة لك به يا مقلد ، ويا من يزعم أن الاجتهاد قد انقطع ، وما بقي مجتهد ، ولا فائدة في أصول الفقه إلا أن يصير محصله مجتهداً به ، فإذا عرفه ولم يفك تقليد إمامه لم يصنع شيئاً ، بل أتعب نفسه

١ - غالب هذه الأقوال عن السلف تكون متقاربة في المعنى أو أن المعنى فيها واحد ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد ابن جبر وذكر غيره من التابعين ثم قال : فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ بحسبها من لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالاً وليس كذلك فإن منهم من يعبر عن الشيء بلأزمه أو نظيره ومنهم من ينص على الشيء بعينه والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن فليتقطن اللبيب لذلك والله الهادي . اهـ من مقدمة في أصول التفسير (ص ٤٤-٤٥) .

٢ - علم أصول الفقه قال في "كشف الظنون" (١ / ٨١)

هو: علم يتعرف منه: استنباط الأحكام الشرعية الفرعية، عن أدلتها الإجمالية.

وموضوعه: الأدلة الشرعية الكلية، من حيث أنها كيف يستنبط عنها الأحكام الشرعية.

ومباده: مأخوذة من العربية، وبعض العلوم الشرعية، كأصول الكلام، والتفسير، والحديث، وبعض من العقلية. والغرض منه: تحصيل ملكة استنباط الأحكام الشرعية الفرعية، من أدلتها الأربعة، أعني: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس.

وفائدته: استنباط تلك الأحكام على وجه الصحة.

وركب على نفسه الحجة في مسائل ، وإن كان يقرأ لتحصيل الوظائف و ليقال ، فهذا من الوبال(١)، وهو ضرب من الخبال(٢) .

علم أصول الدين(٣)

أصول الدين : هو اسم عظيم ، وهو منطبق على حفظ الكتاب والسنة ، فهما أصول دين الإسلام ، ليس إلا ، وأما العرف في هذا الاسم فهو مختلف باختلاف النحل .

فأصول دين السلف : الإيمان بالله وكتبه ورسوله وملائكته ، وبصفاته وبالقدر ، وبأن القرآن المنزل كلام الله تعالى غير مخلوق ، والترضي عن كل الصحابة ، إلى غير ذلك من أصول السنة .

وأصول دين الخلف هو ما صنعوا فيه ، وبنوه على العقل والمنطق(٤) .

١ - الوبال قال في "لسان العرب" (١١/٧٢٠): الوبال في الأصل الثقل والمكروه ويريد به في الحديث العذاب في الآخرة وفي التنزيل العزيز (فذاقت وبال أمرها) ، (فأخذناه أخذاً وبيلاً) أي : شديداً . اهـ ، وفي "المعجم الوسيط" (ص:١٠٠٩) الوبال : الفساد والشدة والثقل وسوء العاقبة وفي التنزيل العزيز (فذاقت وبال أمرها) اهـ

٢ - قال في "لسان العرب" (١١/١٩٨): الخبال في الأصل الفساد ويكون في الأفعال والأبدان والعقول . اهـ

٣ - علم أصول الدين قال أبو الطيب في "أبجد العلوم" (ص: ٢٧٥)

علم أصول الدين المسمى بالكلام وقال الأرنؤيقي: هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها.

وموضوعه عند الأقدمين: ذات الله تعالى وصفاته لأن المقصود الأصلي من علم الكلام معرفته تعالى وصفاته ولما احتاجت مبادئه إلى معرفة أحوال المحدثات أدرج المتأخرون تلك المباحث في علم الكلام لئلا يحتاج أعلى العلوم الشرعية إلى العلوم الحكمية فجعلوا موضوعه الموجود من حيث هو موجود وميزوه عن الحكمة بكون البحث فيه على قانون الإسلام وفي الحكمة على مقتضى العقول.

ولما رأى المتأخرون احتياجه إلى معرفة أحوال الأدلة وأحكام الأقيسة وتحاشوا عن أن يحتاج أعلى العلوم الشرعية إلى علم المنطق جعلوا موضوعه المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية تعلقاً قريباً أو بعيداً. ثم إن علم الكلام شرطوا فيه أن تؤخذ العقيدة أولاً من الكتاب والسنة ثم تثبت بالبراهين العقلية انتهى.

٤ - المنطق قال الجرجاني في "التعريفات" (ص: ٢٣٢)

فما كان السلف يحطون على سالكه ويبدعونه ، وبينهم اختلاف شديد في مسائل مزمنة ، تركها من حسن إسلام العبد ، فإنه يورث أمراضاً في القلوب ، ومن لم يصدقني يجرب ، فإن الأصولية بينهم السيف ، يكفر هذا هذا ، ويضلل هذا هذا ، فالأصولي الواقف مع الظواهر والآثار عند خصومه يجعلونه مجسماً وحشويماً ومبتدعاً ، والأصولي الذي طرد التأويل عند الآخرين جهماً ومعتزلياً وضالاً ، والأصولي الذي أثبت بعض الصفات ونفى بعضها ، وتأول في أماكن يقولون : متناقضاً ، والسلامة والعافية أولى بك ، فإن برعت في الأصول وتوابعها من المنطق والحكمة والفلسفة ، وآراء الأوائل ومجازات العقول ، واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسنة وأصول السلف ، ولفقت بين العقل والنقل ، فما أظنك في ذلك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقربها ، وقد رأيت ما آل أمره إليه من الحط عليه ، والهجر والتضليل والتكفير والتكذيب بحق وبباطل(١).

آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر، فهو علم عملي آلي، كما أن الحكمة علم نظري غير آلي، فالآلة بمنزلة الجنس.

والقانونية: تخرج الآلات الجزئية لأرباب الصنائع، وقوله: تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر يخرج العلوم القانونية التي لا تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر بل في المقال، كالعلوم العربية. اهـ

قلت: قد رد على هذا شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه "الرد على المنطقيين" (ص: ٢٦ - ٢٧) فقال:

لاسيما وهؤلاء يقولون: إن المنطق ميزان العلوم العقلية ومراعاته تعصم الذهن عن أن يغلط في فكره كما أن العروض ميزان الشعر والنحو والتصريف ميزان الألفاظ العربية المركبة والمفردة وآلات المواقيت موازين لها.

ولكن ليس الأمر كذلك فإن العلوم العقلية تعلم بما فطر الله عليه بني آدم من أسباب الإدراك لا تقف على ميزان وضعي لشخص معين ولا يقلد في العقليات أحد بخلاف العربية فإنها عادة لقوم لا تعرف إلا بالسمع وقوانينها لا تعرف إلا بالاستقراء اهـ

١ - بباطل نعم أما بحق فلا فليس مع من ضلله أو كفره حق في ذلك أبداً والذين تكلموا عليه أو عادوه أكثرهم من أهل البدع والضلال وبعضهم من أهل الحسد والحقد .

فقد كان قبل أن يدخل في هذه الصناعة منوراً مضيئاً (١) ، على محياه سيما السلف ، ثم صار مظلماً مكسوفاً (٢) ، عليه قتمة (٣) : عند خلائق من الناس ، ودجالاً أفاكاً كافراً عند أعدائه ، ومبتدعاً فاضلاً محققاً بارعاً : عند طوائف من عقلاء الفضلاء.

وحامل راية الإسلام وحامي حوزة الدين ومحبي السنة : عند عوام أصحابه ، هو ما أقول لك .

علم المنطق (٤)

والمنطق نفعه قليل ، وضرره وبيل (١) ، وما هو من علوم الاسلام (٢) ، والحق منه فكامن في النفوس الزكية بعبارات غريبة ، والباطل فاهرب منه فإنك تتقطع مع خصمك وتعرف أنك المحق ، وتقطع خصمك ، وتعرف أنك

١ - هو ما دخل في هذه الصناعة حباً فيها وفي أهلها إنما دخل فيها ليرد على أهلها بها ، نعم كان الأولى به ألا يدخلها ويكتفي في الرد عليهم بالأدلة من الكتاب والسنة وكذلك آثار السلف ولكن هذا هو عذره في ذلك .

٢ - مكسوفاً : أي: مهموماً قد تغير لونه وهزل من الحزن "لسان العرب" (٢٩٩/٩) .

قلت : لم تكن هذه حالة شيخ الإسلام رحمه الله فلم يكن مظلماً ولا مكسوفاً بل كان طيب النفس منشرح الصدر من كثرة ذكره لله وإيمانه به وتبحره في العلوم الشرعية ، قال ابن القيم رحمه الله في "الوابل الصيب" (ص: ٤٨) وهو يتكلم عنه: وعلم الله ما رأيت أحداً أطيّب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيّب الناس عيشاً، وأشرحهم صدرأ، وأقواهم قلباً، وأسرههم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضائق بنا الأرض أتيناها، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة.

٣ - القتمة : اللون الذي يضرب إلى السواد "لسان العرب" (٤٦١/١٢) وفي "المعجم الوسيط" (ص١٥) القتمة : لون فيه غبرة وحمرة أو سواد ليس بشديد . اهـ

٤ - علم المنطق قال في "كشف الظنون" (٢/ ١٨٦٢) ويسمى: (علم الميزان) أيضاً. وهو: علم يتعرف منه كيفية

اكتساب المجهولات التصورية والتصديقية، من معلوماتها. وموضوعه: المعقولات الثانية، من حيث الإيصال إلى المجهول، أو النفع فيه.

على الخطأ ، فهي عبارات دهاشة(٣) ومقدمات دكاكة . نسأل الله السلامة ، و إن قرأته للفرجة لا للحجة ، وللدنيا لا للأخرة ، فقد عذبت الحيوان وضيعت الزمان ، والله المستعان ، وأما الثواب فأيس منه ولا تأمن العقاب إلا بمثاب

علم الحكمة(٤)

١ وبيل : أي شديد "المعجم الوسيط" (ص١٠٠٩)

٢ بل هو من علم أهل اليونان قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "الرد على المنطقيين" (ص١٧٧) ولهذا كان العقلاء العارفون يصفون منطقتهم بأنه أمر اصطلاحي وضعه رجل من اليونان لا يحتاج إليه العقلاء ولا طلب العقلاء للعلم موقفاً عليه . اهـ

وقال رحمه الله في المصدر السابق (ص٣) فإني كنت دائماً أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد . اهـ .

٣ دهاشة : أي محيرة .

٤ علم الحكمة قال في "كشف الظنون" (١/ ٦٧٦)

هو: علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر، بقدر الطاقة البشرية.

وموضوعه: الأشياء الموجودة في الأعيان والأذهان.

وعرفه بعض المحققين: بأحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية، فيكون موضوعه الأعيان الموجودة.

وغيته: هي التشرف بالكلمات في العاجل، والفوز بالسعادة الآخورية في الأجل.

وتلك الأعيان: إما الأفعال والأعمال التي وجودها بقدرتنا واختيارنا أو لا.

فالعلم بأحوال الأول من حيث يؤدي إلى إصلاح المعاش والمعاد، يسمى: حكمة عملية.

والعلم بأحوال الثاني، يسمى: حكمة نظرية، لأن المقصود منها ما حصل بالنظر.

وكل منهما ثلاثة أقسام:

أما العملية: فلأنها إما علم بمصالح شخص بانفراده ليتحلى بالفضائل، ويتخلى عن الرذائل، ويسمى: تهذيب الأخلاق، وقد ذكر في علم الأخلاق.

وإما علم بمصالح جماعة متشاركة في المنزل كالوالد والمولود، والمالك والمملوك، ويسمى: تدبير المنزل، وقد سبق في التاء.

وإما علم بمصالح جماعة متشاركة في المدينة، ويسمى: السياسة المدنية، وسيأتي في السنين.

وأما النظرية: فلأنها إما علم بأحوال ما لا يفتقر في الوجود الخارجي، والتعقل إلى المادة كالألة، وهو العلم الإلهي وقد سبق في الألف.

والحكمة الفلسفية الإلهية ما ينظر فيها من يرجى فلاحه ، ولا يركن إلى اعتقادها من يلوح (١) نجاحه ، فإن هذا العلم في شق وما جاءت به الرسل في شق ، ولكن ضلال من لم يدر ما جاءت به الرسل كما ينبغي بالحكمة شر ممن يدرى ، واغوثاه بالله ، اذا كان الذين قد انتدبوا (٢) للرد على الفلاسفة قد حاروا (٣) ولحقتهم كسفة (٤) ، فما الظن بالمرود عليهم؟! وما دواء هذه العلوم وعلماؤها والعاملين بها علماً وعتداً إلا الحريق والإعدام من الوجود .

إذ الدين ما زال كاملاً حتى عُرِّبَت (٥) هذه الكتب ، ونظر فيها المسلمون ، فلو أهدمت لكان فتحاً مبيناً .

والحكمة الرياضية فيها حق من طبائع هندسية و حساب ونحو ذلك ، وفيها أباطيل وتنجيم وما أشبهه ، فباطلها يوذى المرء في دينه ويضلله ، وحققها صنعة وإتقان وتحرير مما لا أجر فيه ولا وزر .

والحكمة الطبيعية لا بأس بها ، لكنها ليست من علوم الدين ، ولا مما يتقرب به الى الله ولا من زاد المعاد ، بل هي صنعة بلا ثواب ولا عقاب ، اذا كان صاحبها سليم الاعتقاد عادلاً خيراً كما رأينا جماعة منهم ، وقد يثاب الرجل على تعليمها بالنية إن شاء الله تعالى .

وإما علم بأحوال ما يفتقر إليها في الوجود الخارجي، دون التعقل كالكرة، وهو العلم الأوسط، ويسمى: بالرياضي والتعليمي، وسيأتي في الراء.

وإما علم بأحوال ما يفتقر لها في الوجود الخارجي والتعقل كالإنسان، وهو العلم الأدنى، ويسمى: بالطبيعي، وسيأتي في الطاء.

١ يلوح : أي يبرز ويظهر "السان العرب" (٥٨٦/٢) .

٢ انتدبوا : أي دُعُو وابتعثوا "السان العرب" (٧٥٤/١) .

٣ أي وقعوا في الحيرة .

٤ كسفة : أي هم وتغير لون وهزل من الحزن "السان العرب" (٢٩٩/٩) .

٥ أي جعلت باللغة العربية .

علم الفرائض (١)

الفرضيون داخلون في الفقهاء ، إذ هو كتاب من كتب الفقه .

وهو علم مليح والامعان (٢) فيه يفوت الوقت ، والتوسط في ذلك جيد فكم من مسألة في الفرائض ما وقعت ولا تقع أبدا .

علم الإنشاء (٣)

الإنشاء فن أبناء الدنيا ليس من علم الآخرة في شيء ، والكامل فيه محتاج إلى مشاركة قوية في العلوم الإسلامية ، و يريد عقلاً تاماً ورزائناً وسرعةً منهم وقوة تخيل وبصراً باللغة والنحو وخبرة بالمعاني والبيان والسيّر وأيام

١ علم الفرائض قال في "كشف الظنون" (٢/ ١٢٤٤)

هو: علم بقواعد، وجزئيات، تعرف بها: كيفية صرف التركة إلى الوارث، بعد معرفته.
وموضوعها: التركة، والوارث.

لأن الفرضي يبحث عن التركة، وعن مستحقها بطريق الإرث، من حيث أنها تصرف إليه إرثاً، بقواعد معينة شرعية، ومن جهة قدر ما يحرزها، ويتبعها متعلقات التركة.
ووجه الحاجة إليه: الوصول إلى إيصال كل وارث قدر استحقاقه.
وغايتها: الاقتدار على ذلك وإيجاده، وما عنه البحث فيه، هو مسأله.
واستمداده من أصول الشرع، كذا في: "أقذار الرائض" .
٢ الإمعان : المبالغة .

٣ علم الإنشاء قال في "كشف الظنون" (١/ ١٨١)

أي: إنشاء النثر، وهو: علم يبحث فيه عن المنثور، من حيث أنه بليغ، وفصيح، ومشمتمل على: الآداب المعتمدة عندهم في العبارات المستحسنة، واللائقة بالمقام.
وموضوعه، وغرضه، وغايته: ظاهرة مما ذكر.
ومباده: مأخوذة من تتبع الخطب والرسائل، بل له استمداد من جميع العلوم، سيما الحكمة العملية، والعلوم الشرعية، وسير الكمل، ووصايا العقلاء، وغير ذلك من الأمور الغير المتناهية، هذا ما ذكره أبو الخير.

الناس وفنون الأدب وحسن كتابة ، ولكن ليكن رأس مال المنشئ تقوى الله ومراقبته فربما وضع لفظه تعجبه يهوي بها الى النار وهو لا يدري

وربما أبداع في سطر ترتب عليه خراب مصر

وربما أعان على تعلمه على سفك الدماء الحرام .

فانظر أين أنت يا بليغ ؟ قد ذم نبيك البلاغة (١) فقال : (إن من البيان لسحرا) (٢) وقال : (العي من الإيمان) (٣) ، فكملة براعة البلاغة بإرضاء ربك الأعلى ، وبنصح رب الأمر ، فهنا كمال البلاغة إن كنت من المتقين ، وإن تعذر ذلك فدينك ما منه عوض ، فمن اتقى الله

١ ذم البلاغة التي تستعمل في إحقاق الباطل وإبطال الحق ، أما البلاغة التي تستعمل في إحقاق الحق وإبطال الباطل فهي محمودة فإن الله عز وجل يقول (وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) .

٢ رواه البخاري (٥٧٦٧) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ورواه مسلم (٨٦٩) عن عمار بن ياسر رضي الله عنه .

٣ ضعيف .

أخرجه أحمد (٢٢٣١٢) والترمذي (٢٠٢٧) ومحمد بن نصر المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (٤٤٦) والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٢٩٨٣) والحاكم في "المستدرک" (٥١/١) من طريق أبي غسان محمد بن مطرف عن حسان بن عطية عن أبي أمامة عن النبي صل الله عليه وآله وسلم قال (الحياء والعي شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق) وهذا إسناد ضعيف حسان بن عطية قيل إنه لم يسمع من أبي أمامة كما في "جامع التحصيل"

وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٧٤٨١) من طريق محمد بن محسن العكاشي ثنا صفوان بن عمرو عن خالد بن معدان حدثني أبو أمامة مرفوعاً نحوه وهذا إسناد موضوع محمد بن محسن العكاشي قال ابن معين: كذاب وكذا قال أبو حاتم وقال الدارقطني : متروك يضع .

قال في "تحفة الأحوذى" (١٤٧/٦)

قوله (الحياء والعي) أي العجز في الكلام والمراد به في هذا المقام هو السكوت عما فيه إثم من النثر والشعر لا ما يكون للخلل في اللسان قاله القارىء

وقال في المجمع العي التحير في الكلام وأراد به ما كان بسبب التأمل في المقال والتحرز عن الوبال انتهى

قلت وفسر الترمذي العي فيما بعد بقلة الكلام يعني حذرا عن الوقوع في الإثم أو في ما لا يعني

كفاه الناس ، ومن أَرْضَى الناس بسخط الله سلط الله عليه من أَرْضاه ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين .

علم الشعر (١)

الشعر هو من فنون المنشئ وهو كلام ، فحسنه حسن - وهو قليل (٢) - ، - وقبيحه قبيح - وهو الأغلب (١) - ،

وببیت ماله الكذب والإسراف في المدح

(شعبتان من الإيمان) أي أثران من آثاره فإن المؤمن بحمله الإيمان على الحياء فيترك القبايح حياء من الله تعالى ويمنعه عن الاجترأ على الكلام شفقة عن عثرة اللسان فهما شعبتان من شعب الإيمان والحاصل أن الإيمان منشأهما ومنشأ كل معروف وإحسان (والبذاء) بفتح موحدة فذال معجمة فحش الكلام أو خلاف الحياء (والبيان) أي الفصاحة الزائدة عن مقدار حاجة الإنسان من التعمق في النطق وإظهار التفصيح للتقدم على الأعيان وقال في المجمع أراد بالبيان ما يكون سببه الاجترأ وعدم المبالاة بالطغيان والتحرز عن الزور والبهتان انتهى (شعبتان من النفاق) قال في "التيسير" أي: هما خصلتان منشأهما النفاق أو مؤديان إليه وأراد بالبيان هنا كثرة الكلام والتكلف للناس بكثرة التملق والثناء عليهم وإظهار التفصيح وذلك ليس من شأن أهل الإيمان وقد يتملق الإنسان إلى حد يخرجه إلى صريح النفاق وحقيقته انتهى

١ علم الشعر قال في "أبجد العلوم" (ص: ٤٢٥)

والشعر بالكسر وسكون العين لغة الكلام الموزون المقفى كما في "المنتخب".

وعند أهل العربية: الكلام الذي قصد إلى وزنه وتقفيته قصدا أوليا والمتكلم بهذا الكلام يسمى شاعراً. فمن يقصد المعنى فيصدر عنه كلام موزون مقفى لا يكون شاعراً وعلى هذا فلا يكون القرآن والحديث شعراً لعدم القصد إلى وزن اللفظ قصداً أولياً ويؤيد ما ذكرنا أنك إذا تتبعت كلام الناس في الأسواق تجد فيه ما يكون موزوناً واقفاً في بحر من بحور الشعر ولا يسمى المتكلم به شاعراً ولا الكلام شعراً لعدم القصد إلى اللفظ أولاً وبالجملة. فالشعر ما قصد وزنه أولاً بالذات ثم يتكلم به مراعى جانب الوزن فيتبعه المعنى فلا يرد ما يتوهم من أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية وفاعل بالاختيار فالكلام الموزون الصادر عنه سبحانه معلوم له تعالى كونه موزوناً وصادراً عن قصد واختيار فلا معنى لنفي كون وزنه مقصوداً لأن الكلام الموزون وإن صدر عنه تعالى عن قصد واختيار ولكن لم يصدر عن قصد أولي هو المراد ههنا فتأمل كذا ذكره الحلبي في حاشية شرح الموافف. ٢ وعليه يحمل مثل قوله صل الله عليه وآله وسلم (إن من الشعر حكمة) رواه البخاري (٦١٤٥) عن أبي بن كعب رضي الله عنه .

والهجو (٢) والتشبيه والنعت والحامسة ، وأملحه أكذبه (٣) ، فإن كان الشاعر بليغاً مفوهاً مقدماً على الكذب في لهجته مصراً على الاكتساب بالشعر رقيق الدين فقد قرأ مقت الشعراء في سورة الشعراء (٤) .

ويندر على الشعراء المجودين من يتصون من الهجو ، وربما أدى الأمر بالشاعر إلى التجاوز إلى الكفر ، نسأل الله العفو .

١ وعليه يحمل مثل قوله صل الله عليه وآله وسلم (لأن يمتلى جوف أحدكم قبحاً خيراً له من أن يمتلى شعراً) رواه البخاري (٦١٥٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما ورواه البخاري (٦١٥٥) ومسلم (٢٢٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

قال النووي في "شرح مسلم" (١٤/١٥)

الصواب أن المراد أن يكون الشعر غالباً عليه مستولياً عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى وهذا مذموم من أي شعر كان فأمّا إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا لأن جوفه ليس ممتلئاً شعراً والله أعلم واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على كراهة الشعر مطلقاً قليلاً وكثيره وإن كان لا فحش فيه وتعلق بقوله صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان وقال العلماء كافة هو مباح ما لم يكن فيه فحش ونحوه قالوا وهو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وهذا هو الصواب فقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم الشعر واستنشه وأمر به حسان في هجاء المشركين وأنشده أصحابه بحضرته في الأسفار وغيرها وأنشده الخلفاء وأئمة الصحابة وفضلاء السلف ولم ينكره أحد منهم على إطلاقه وإنما أنكروا المذموم منه وهو الفحش ونحوه .

٢ قال **الخبوي** في "الكليات" (٨٥٧) الممدوح بمعنى عد المآثر والمناقب يقابله الهجو بمعنى عد المثالب .

وفي "مجملة اللغة" (٩٠٠/١) لابن فارس هجو هجاه بهجوه إذا وقع فيه بأشعاره وذلك الشعر الهجو . اهـ

٣ ويقال أيضاً: أعذبه أكذبه ، وقال ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" (٢٠٠/١)

يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات التي لا يحسن شعرهم إلا بها، كما قيل في الشعر: إن أعذبه أكذبه، وتجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها في وصف النساء أو الخيل أو الخمر، أو في مدح شخص معين أو فرس أو ناقة أو حرب أو كائنة أو مخافة أو سب، أو شيء من المشاهدات المتعينة التي لا تفيد شيئاً إلا قدرة المتكلم المعبر على التعبير على الشيء الخفي أو الدقيق أو إبرازه إلى الشيء الواضح، ثم تجد له فيها بيتاً أو بيتين أو أكثر هي بيوت القصيد وسائرها هذر لا طائل تحته .

٤ وذلك في قول الله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون - ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون)

(الشعراء ٢٢٤ - ٢٢٦)

والشاعر المحسن كحسان(١) ، والمقتصد: كابن المبارك(٢) ، والظالم: كالممتنبي(٣) ، والسفيه الفاجر: كابن الحجاج(٤) ، والكافر: كذوي الإتحاد(٥) ، فاختر لنفسك أي وإِتسلك .

- ١ هو بن ثابت الأنصاري قال الذهبي في "السير" (٥١٢/٢) سيد الشعراء المؤمنين المؤيد بروح القدس شاعر رسول الله صل الله عليه وآله وسلم وصاحبه . اهـ
- قلت : قال فيه رسول الله صل الله عليه وآله وسلم (إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله) رواه مسلم (٢٤٩٠) عن عائشة رضي الله عنها .
- ٢ هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي قال الذهبي في "السير" (٣٧٨/٨) الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته ... الحافظ الغازي أحد الأعلام ، ثم نقل عن أحمد العجلي أنه قال : ابن المبارك ثقة ثبت في الحديث رجل صالح يقول الشعر وكان جامعاً للعلم .
- ٣ **المتنبي** هو أبو الطيب أحمد بن حسين بن حسن الجعفي الكوفي الأديب الشاعر، قال الذهبي في "السير" (١٦ / ١٩٩) أقام بالبادية بقتيس اللغة والأخبار وكان من أذكى عصره بلغ الذروة في النظم وأرعى على المتقدمين وسار ديوانه في الأفق - إلى أن قال - وكان معجباً بنفسه كثير البأ والتيه فمقت لذلك .
- ٤ ابن الحجاج هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد البغدادي ، قال الذهبي في "السير" (١٧ / ٥٩) : شاعر العصر وسفيه الأدياء وأمير الفحش ، وديوانه مشهور في خمس مجلدات وقد هجا المتنبي وله باع أطول في الغزل وأما الزطاطة والتفحش فهو حامل لوائها والقائن بأعبائها وكان شيعياً رقيقاً ماجناً مزاحاً هجا أمة وحده في نظم القبايح وخفة الروح . اهـ
- ٥ كابن عربي محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي.

علم الحساب (١)

الحساب وشرع الديوان هذا من علوم القبط (٢) والفرس (٣) ، ليس من علوم الإسلام ، وهو صنعة ومعيشة ينال

بها الرجل السعادة والدنيا ،

وكلما كان أمهر (٤) كان أسرق

١ علم الحساب قال في "كشف الظنون" (١/ ٦٦٤)

هو: علم بقواعد يعرف بها طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات العددية المخصوصة. والمراد بالاستخراج: معرفة كمياتها.

وموضوعه: العدد، إذ يبحث فيه عن عوارضه الذاتية، والعدد: هو الكمية المتألفة من الوحدات، فالوحدة مقومة للعدد، وأما الواحد فليس بعدد، ولا مقوم له، وقد يقال لكل ما يقع تحت العد، فيقع على الواحد. ومنفعته: ضبط المعاملات، وحفظ الأموال، وقضاء الديون، وقسمة التركات، ويحتاج إليه في العلوم الفلكية، وفي المساحة، والطب.

وقيل: يحتاج إليه في جميع العلوم، ولا يستغني عنه ملك، ولا عالم، ولا سوقة، وزاد شرفاً بقوله سبحانه وتعالى: (وكفى بنا حاسبين) .

ولذلك ألف فيه الناس كثيراً، وتداولوه في الأمصار بالتعليم.

ومن أحسن التعاليم عند الحكماء الابتداء به، لأنه معارف متضحة، وبراهينه منتظمة، فينشأ عنه في الغالب عقل مضيء، ودرج على الصواب.

وقد يقال: إن من أخذ نفسه بتعلم الحساب أول أمره؛ يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني، ومناقشة النفس، فيصير له ذلك خلقاً، ويتعود الصدق، ويلزمه مذهباً.

وهو مستغلق على المبتدي، إذا كان من طريق البرهان، وهذا شأن علوم التعاليم؛ لأن مسائلها وأعمالها واضحة، وإذا قصد شرحها، وهو التعليل في تلك الأعمال ظهر من العسر على الفهم مالا يوجد في أعمال المسائل.

٢ القبط: كلمة يونانية الأصل بمعنى سكان مصر ويقصد بهم اليوم المسيحيون من المصريين جمعه أقباط "المعجم الوسيط" (ص: ٧١١) .

٣ هم أمة من الناس ويقال لهم فارس ، وفارس بلادهم وهي الآن بلاد إيران "المعجم الوسيط" (ص: ٦٨١) .

٤ أمهر: أي أحكم وأحذق "المعجم الوسيط" (ص: ٨٨٩) .

ومن اتقى الله فيها وكتب لقضاة العدل وباشر الأيتام (١) والصدقات (٢) ومال الأوقاف (٣) والمدارس (٤) ولزم الأمانة واتقى فيه فهذا محمود و ماجور بِنَيْتِهِ ، فقد رأينا جماعة يسيرة على نحو ذلك .
 نعم ، ورأينا ذنابا (٥) عليهم الثياب ، وفاسق الكتبة (٦) إليه المنتهى في السرقة وعاقبة أمرهم وبيلة (٧) من الضرب والمصادرة (٨) والفقير .

١ الأيتام جمع يتيم وهو من مات أبوه قبل بلوغه .

٢ الصدقات: جمع صدقة وهي ما يعطى على وجه القربى لله المكرمة "المعجم الوسيط" (ص: ٥١١)

٣ الوقف معناه: تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة اهـ من "المغني" لابن قدامة (٣٦٦)

٤ المدارس: جمع مدرسة وهي مكان الدرس والتعليم "المعجم الوسيط" (ص: ٢٨٠)

٥ أي: لصوفاً والذنب في الأصل: حيوان من الفصيلة الكلبية ورتبة اللواحم ويسمى كلب البر وجمعه أذوب وذناب وذوبان اهـ من "المعجم الوسيط" (ص: ٣٠٨)

٦ الكتبة: هم الذين ينسخون الكتب.

٧ وبيلة: أي: وخيمة.

٨ المصادرة: أي: أن أموالهم تصادر بمعنى تستولي عليها الدولة عقوبة لهم "المعجم الوسيط" (ص: ٥٠٩).

علم الشروط (١)

١ علم الشروط: هو علم التوثيق قال حاجي خليفة في "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" (١٠٤٦ / ٢) هو: علم باحث عن: كيفية ثبت الأحكام الثابتة، عند القاضي في الكتب والسجلات، على وجه يصح الاحتجاج به، عند انقضاء شهود الحال.

وموضوعه: تلك الأحكام من حيث الكتابة.

وبعض مبادئه: مأخوذ من الفقه.

وبعضها: من علم الإنشاء.

وبعضها: من الرسوم والعادات، والأمر الاستحسانية.

وهو من: فروع الفقه، من حيث كون ترتيب معانيه، موافقا لقوانين الشرع.

وقد يجعل من: فروع الأدب، باعتبار تحسين الألفاظ.

وقال الإمام السرخسي رحمه الله في "المبسوط" (١٦٧ / ٣٠)

اعلم بأن علم الشروط من أكد العلوم، وأعظمها صنعة فإن الله - تعالى - أمر بالكتاب في المعاملات فقال عز وجل {إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه} [البقرة: ٢٨٢] ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر بالكتاب في المعاملة بينه وبين من عامله، وأمر بالكتاب فيما قلد فيه عماله من الأمانة وأمر بالكتاب في الصلح فيما بينه وبين المشركين، والناس تعاملوه من لدن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى يومنا هذا، ولا يتوصل إلى ذلك إلا بعلم الشرط فكان من أكد العلوم وفيه المنفعة من أوجه: أحدها: صيانة الأموال، وقد أمرنا بصيانتها ونهينا عن إضاعته. والثانية: قطع المنازعة فإن الكتاب يصير حكما بين المتعاملين ويرجعان إليه عند المنازعة فيكون سببا لتسكين الفتنة، ولا يجحد أحدهما حق صاحبه مخافة أن يخرج الكتاب وتشهد الشهود عليه بذلك فيفتضح في الناس.

والثالثة: التحرز عن العقود الفاسدة؛ لأن المتعاملين ربما لا يهتديان إلى الأسباب المفسدة للعقد ليتحرزا عنها فيحملهما الكاتب على ذلك إذا رجعا إليه ليكتب.

والرابعة: رفع الارتباب فقد يشتبه على المتعاملين إذا تطاول الزمان مقدار البذل ومقدار الأجل فإذا رجعا إلى الكتاب لا يبقى لواحد منهما ريبية، وكذلك بعد موتها تقع الريبية لو ارث كل واحد منهما بناء على ما ظهر من عادة أكثر الناس في أنهم لا يؤدون الأمانة على وجهها فعند الرجوع إلى الكتاب لا تبقى الريبية بينهم فينبغي لكل أحد أن يصرف همه إلى تعلم الشروط لعظم المنفعة فيها ولأن الله - تعالى - عظمها بقوله - جل جلاله -: {ولا ياب كاتب أن يكتب كما علمه الله} [البقرة: ٢٨٢] فقد أضاف الله - تعالى - تعليم الشروط إلى نفسه كما أضاف تعليم القرآن إلى نفسه فقال - عز وجل -: {الرحمن * علم القرآن} [الرحمن: ٢] وأضاف تعليم الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى نفسه فقال - جل جلاله -: {وعلمك ما لم تكن تعلم} [النساء: ١١٣]

الشروط : علم حسن شرعى ، من برع فيه ولزم العدالة(١) والورع(٢) عاش فقيراً ومات فقيداً ، ومن عاش فيه بالحيل(٣) والمكر(٤) والدهاء(٥) فلا بد له من خزي في الدنيا ومقت في الأخرى وإن تسود هذا ، (قل متاع الدنيا قليل والأخرة خير لمن اتقى) (النساء : ٧٧)

علم الوعظ (٦)

الوعظ : فن بذاته يحتاج إلى مشاركة جيدة في العلم ، ويستدعي معرفة حسنة بالتفسير وإكثاراً من حكايات الفقراء والزهاد . وعدته التقوى والزهادة .

فإذا رأيت الواعظ راغباً في الدنيا قليل الدين ، فاعلم أن وعظه لا يتجاوز الأسماع .

وكم من واعظ مفوه قد أبكى وأثر في الحاضرين تلك الساعة ، ثم قاموا كما قعدوا .

ومتى كان الواعظ مثل الحسن(٧) ، والشيوخ عبد القادر الجيلاني(٨) - رحمهما الله تعالى - انتفع به الناس .

١ العدل: هو الإنصاف وهو إعطاء المرء ماله وأخذ ما عليه "المعجم الوسيط" ص(٥٨٨).

٢ الورع: هو ترك ما يخشى ضرره في الآخرة قاله العلامة ابن القيم رحمه الله في "الفوائد" ص(١١٨).

٣ أي بالخداع.

٤ المكر: هو إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي وكذلك الكيد والمخادعة ولكنه نوعان قبيح وهو: إيصال ذلك لمن لا يستحقه وحسن وهو: إيصاله إلى مستحقه عقوبة له .اهـ من "اعلام الموقعين" (١٧١٣).

٥ الدهاء: هو العقل وجودة الرأي. "المعجم الوسيط" ص(٣٠١)

٦ علم الوعظ: ذكره حاجي خليفه في "كشف الظنون" (٢٠١٦٢)

٧ الحسن: هو ابن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد مولى زيد بن ثابت وكان سيد أهل زمانه علماً وعملاً انظر "سير اعلام النبلاء" (٥٦٣٤)

٨ هو أبو محمد الجيلاني ويقال الجيلي قال الذهبي: الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الاسلام علم الأولياء ثم نقل عن السمعاني أنه قال: كان عبدالقادر من أهل جيلان إمام الحنابلة وشيخهم في عصره فقيه صالح دين خير كثير الذكر دائم الفكر سريع الدمعة اهـ من "السير" (٤٣٩٢٠) .

فهرس الوضوعات

٢	مقدمة المحقق
٣	ترجمة مختصرة للذهبي رحمه الله
٥	علم القراءة والتجويد
٧	علم الحديث
١٠	المالكية
١١	الحنفية
١٢	الشافعية
١٦	الحنابلة
١٦	علم النحو
١٧	علم اللغة
١٨	علم التفسير
١٩	علم أصول الفقه
٢٠	علم أصول الدين
٢٢	علم المنطق
٢٥	علم الفرائض
٢٥	علم الإنشاء
٢٧	علم الشعر
٣٠	علم الحساب
٣٢	علم الشروط
٣٣	علم الوعظ

